الشارقة الثقافية

تصدر شهرياً عن دائرة الثقافة بالشارقة
نافذة الثقافة العربية
السنة الثالثة - العدد الثالث والثلاثون - يونيو ٢٠١٩م

(السمندل والشباك)
يفوزان بجائزة الشارقة
للثقافة العربية

جمال حمدان
شخصية مصر
وعبقرية المكان

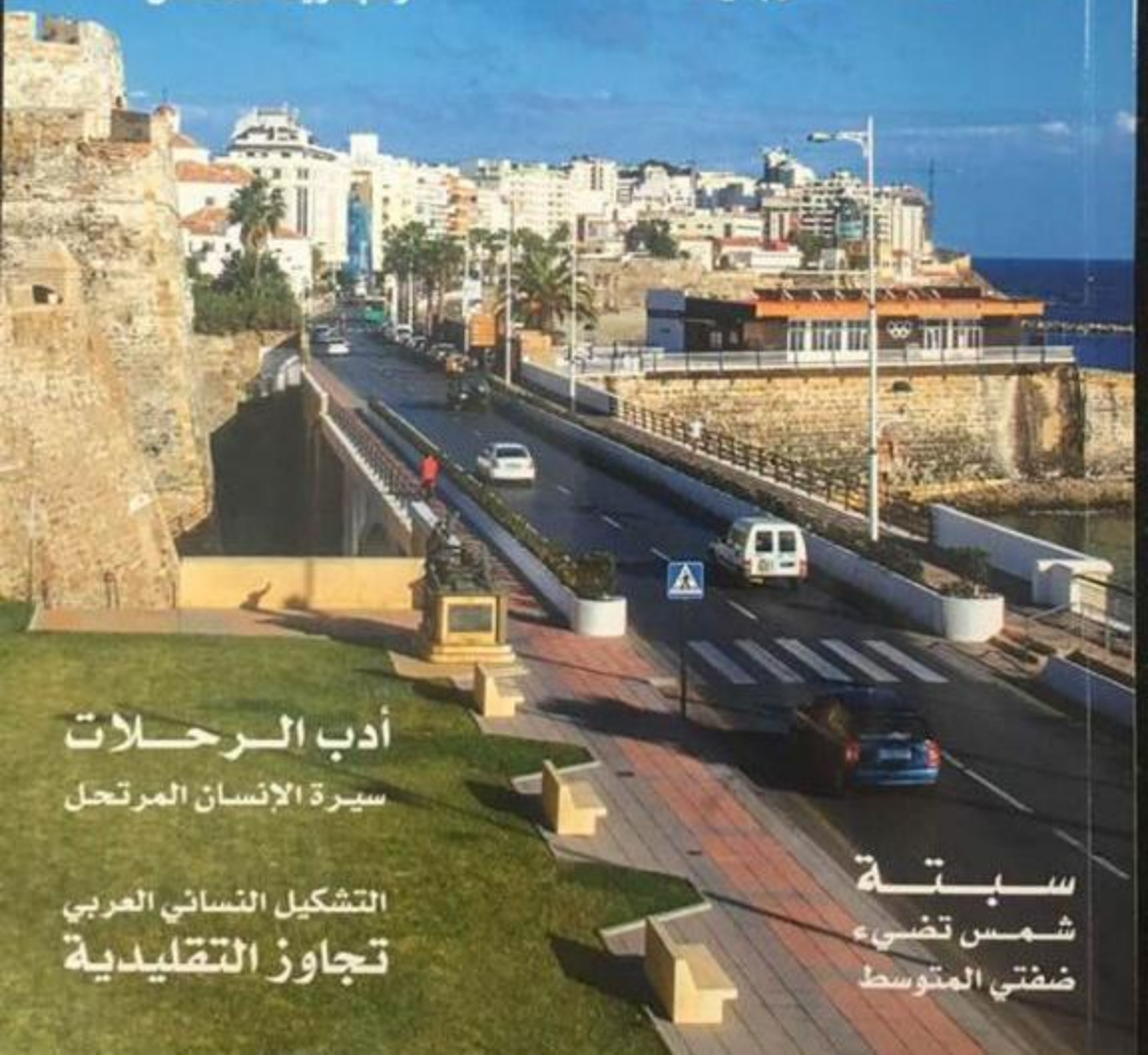

أدب الرحلات
سيرة الإنسان المرتحل

التشكيل النسائي العربي
تجاوز التقليدية

سبتة
شمس تضيء
ضفتي المتوسط

أعماله تشي بأحلامه البعيدة

وليد رشيد.. وحنين الذاكرة لمفردة البيت

يثير الفنان العراقي وليد رشيد حالة من الاستغراب، عندما تصطدم بأعماله الخزفية متجاوزاً تقليدية المادة، فيكون التذوق هنا الاختبار الأهم في مواجهة مجسمات طينية، انتحت مكاناً موارباً في حضورها الجمالي الإشكالي، فالمشاهد لتلك الأعمال يحتاج إلى مهارة مختلفة لتحسس طاقة الشكل المستلقي على ظل مليء بالمنحنيات، حيث تتمدد المادة الطينية لتأخذ شكلها المجرد عبر حساسيات وملامس متنوعة..

محمد العامري

ولم يكتف وليد رشيد بمادة الطين؛ بل هناك إضافات من الخيوط والأسلاك المعدنية تلتف حول خاصرة الجذع الطيني، فيتحول إلى تعويذة غرائبية تشع وتثير المشاهد عبر أسئلة الفن الحداثوي ومديناته المتسارعة، والسبب يعود إلى امتلاك تلك الأعمال صفةً تركيبيةً معقدةً إلى حد ما، وبسبب تداخل مكوناته التأليفية المشفوعة بسؤال الفنان المعرفي والمفاهيمي، وهي تختص بشكل غير مباشر بما يشير إلى اللغة الفنية وطبيعة الاتصال والرسائل الذي يوصلها الشكل كمبلوثات صائتة وصامتة، وأذكر هنا ما ذهب إليه الفيلسوف الفرنسي مرلوبونتي الذي قال: (إن الفكر لا يوجد خارج العالم ويعزل عن الكلمات الأفكار التي عبرنا عنها من قبل هي التي نستدعيها).

فما يذهب إليه الفنان وليد رشيد يتمثل في البحث عن طاقة الشكل الخارجية والداخلية، حيث يفتح الفضاء المغلق للشكل ليحدق في داخله عبر سؤال فلسفي دقيق، فهو يعبر بذلك عن مجمل وجوده الإنساني، وفي السياق يقول كروتشه: (الطير يغني للغناء ولكنه في غنائه يعبر عن مجمل حياته).

فالفنان وليد: هو ذلك الإنسان الذي لا يعير للواقع المرئي اعتباراً بوصفه مخترقاً وواضحاً، وإنما للواقع خارج معناه المرئي ليفجر سؤاله الوجودي، عبر استنطاق مخيلة الواقع ذاته، أي تخييل المرئي بوصفه محفزاً للسؤال الأكبر، وهي مهمة ذات تعقيدات تنتظم في اكتشاف الذات، عبر العالم المنهوب ويقايا غباره الداكن، ليعيد صياغته في سياقات تتوافق ونزعاته الوجودية عن طريق الوسائط الاستطيقية المتاحة والمتخيلة، لشؤون الألم الخاص والعام، والذي يشكل مغذيات بعيدة وقريبة للانغماس في طبيعة تلك الأعمال، وهي بمثابة يوميات الفنان ذاته في الدفاع عن مدونة الحياة وأسئلتها الملحة.

فكلما نظرنا إلى ما شكّله الفنان وليد من طين، ندرك رشاقة اليد ووعيها في تحسس تلك المادة الأقدم وجوداً، حيث تترك أصابعه أثراً إنسانياً بديعاً على جسد الطين في مراحله الأولى، ليتحول إلى جماً مسنون لفحته النار بجوهرها لتعطيه قسوة الوجود، لتدخل تلك العجائن إلى وعي الخيمياني، من خلال استدراج كُنْه المادة ومحمولاتها الرمزية من بصائر مرئية وسمعية، وهي صورة لطاقة العناصر الأولى للمادة، التي تتشكل منها النتائج المتخيلة في إبداعات وليد، ونراه يذهب إلى تجفيف متخيلاته الطينية من الثرثرة والزوائد إلى حد بعيد، باحثاً عما يختبئ في المادة ومقصياً الظاهر منها، متساوقاً مع ما ذهب إليه النفّري بقوله: (كلما اتسعت الرؤية ضاقت العبارة). هذا الإيحاز الذي يتبناه الفنان وليد رشيد هو بمثابة تعميق للصمت الكامن في الشكل، والذي يقدم وعورة لذيذة في قراءة تلك المجسمات، ويحضرني هنا قول الرحالة الشهير ابن بطوطة: (أسعى جهدي ما استطعت ألّا أسلك طريقاً كنت قد طرقته سابقاً).

ومن عناصر الحنين التي تلح على ذاكرته، مفردة البيت، في الرسم والتلوين والنحت، فالبيت الذي يرافق وليد رشيد هو بيت بلا سقف، بل بيت بسقف سماوي محكوم

من أعماله

بالبساطة والضوء، يقول أرسطو: (يبدو أنه شيء ما غامر ويصعب إدراكه، إنه الفضاء). فالبيت الذي يقترحه وليد هو صورة من صور مكنونات الحرية، حيث لا سقف للبيت، وهو منافذ كثيرة للضوء، تراه وحيداً يدافع عن وجوده عبر نبضه الحر، فهو الجملة الحميمية وخزان الذكريات، الحلم والملاذ، شاعرية الخطا الأولى. وبرغم اختلاف الموضوع المجسم في ما يذهب إليه الفنان، فإنه ينتظم في طبائع صياغاته، لكنها هنا أقرب إلى ملامسة الواقع كصيغة مجسدة في مفردة البيت، فقد أخرج البيت من صورته التقليدية ليذهب به إلى طبيعة النحت الذي يقترح بيتاً في المخيلة، لكنه لا ينفصل عن مفرداته الواقعية، فهو عالم مستقل منذ بدء الخليقة، لكونه يمثل طمأنينة ما، وسياجاً لذرء الخطر، ويعمق الدفء والحنين.

كان للهجرات المتعاقبة لوليد رشيد، أثرها الأبعد في اقتفاء أثر البيت واستدراجه لحاضر عمله الفني، تحديداً العمل الفخاري، الذي انتشى بلون الطين متوافقاً مع طبيعة البيوتات العراقية في الأرياف، حيث يأتي الفنان إلى المكان المهجري، وهو يحمل بيته في حقيبة الذاكرة، بيت الرائحة وبيت الأصوات، صوت الأم والأطفال، وصولاً إلى طبيعة الظلال والأشجار، فمن الصعب إقصاء ذلك الحنين بكونه مكوناً أساسياً في ضمير الفنان.

لا يمكن بأي حال فصل القيم الجمالية في العمل الفني لدى وليد بين خزف وتصوير، بل هي تعالقات متصلة تتبادل الفعل والتعبير، بغض النظر عن طبيعة الوسائط المستخدمة، حيث نرى أن الخطوط التي تسري في جسد اللوحة قد انتقلت إلى جسد الطين بصورة حزوز غائرة تتحرك حول المجسمات بشكل دائري وعمودي، كما لو أنها حارسة لفضاء المجسدات، ويعود ذلك لانشغال الفنان في معظم وقته في تخطيطات ربما تكون رسوماً أولية لمجسم فخاري لتتحول فيما بعد إلى لوحة فنية، وقد حقق ذلك في كثير من الأحيان في الأعمال التركيبية التي تجمع بين الوسيط الورقي كصفحات كتاب، وبين كتل فخارية تتقدمه أو تتبعه، فهي حالة متكاملة ينبغي التعامل معها بصورتها الكلية، لذلك استطاع وليد أن يخرج من حصار المادة الخزفية محدودة التعبير إلى فضاء تأليفي متنوع جمع فيه وسائط عدة ليختبر لذة الفن بكل ما وقعت عليه عينه، ففي محترفه تستطيع ان تعرف بماذا يفكر الفنان وليد! هنا عبارة عن الوقت والفن، وهناك شطحات صوفية كتبت في أوراق نامت على الجدار، ومجموعة هائلة من التخطيطات تنشي بمشاريع فنية قادمة. وهنا نستطيع القول إن وليد رشيد فنان يقوم بتشييد أحلامه البعيدة. ليقدم لنا سؤاله الفني المغاير لما عرفته صالات العرض في مناخات النحت الفخاري والخزف والرسم والتلوين. فهي أعمال صادمة للمتلقي، الذي يواجه تلك الكائنات الفخارية المتحركة، والتي تبث رسائل ملغزة لواقع تراجيدي مؤلم.

ترحل خطوطه من التصوير إلى التقرير الفخاري لتمثل حضورها الجمالي والإشكالي

أضاف الخطوط والأسلاك المعدنية إلى مادة الطين ليثير أسئلة الفن الحداثوي

يجسد في أعماله مقولة (مرلوبوتي) إن الفكر لا يوجد خارج العالم وبمعزل عن الكلمات

مرلوبونتي

كروتشه